

## قصة سيدنا هود

رست سفينة سيدنا نوح ﷺ على جبل الجودي، ثم دعا بالدعاء الكريم المبارك: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَارًا﴾ [نوح: 28]، فكل من يقرأ سورة «نوح» ويمر على «المؤمنين والمؤمنات» يكون ممن دعا له سيدنا نوح ﷺ... فتأبر أخي المسلم على قراءتها...

### وهبطت السفينة بسلام:

قال تعالى: ﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ [هود: 48]، أي: انزل بسلام واستقر أنت ومن معك.. ﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّمَّا وَبَرَكْتَ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّنْ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ونزلت ذرية سيدنا نوح على الجبل وهم ثلاثة أولاد: سام وحام ويافث... عرفنا هذه الأسماء من حديث للنبي ﷺ حيث قال: «أبناء نوح ثلاثة: سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم»<sup>(1)</sup>...

ومن ذرية هؤلاء الثلاثة جاءت كل الأجناس البشرية حتى يومنا هذا... فكل عربي هو من ذرية سام، وكل صاحب جلد أسود هو من ذرية حام، والباقون من الأوروبيين وغيرهم من ذرية يافث، ولذلك من الأخطاء الشائعة أن يقال على الأمريكيين أبناء العم سام، من أبناء العم سام؟ هم العرب، نحن أبناء العم سام، أما هم فأبناء العم يافث...

### الإسلام هو الأصل:

وكل من الأبناء الثلاثة سكن منطقة من الأرض، فسكن سام منطقة الشرق الأوسط، وسكن حام القارة السوداء (إفريقيا)، وسكن يافث شمال الكرة الأرضية أوروبا... وحين نزلوا كان الثلاثة مؤمنين... فالأصل في أوروبا أنها كانت مؤمنة. وكذلك أفريقيا والشرق الأوسط...

(1) أخرجه الإمام أحمد في (الحدِيث: 10/5).

الأرض كلها بعد نوح عليه السلام بدأت بالإيمان، والأصل في الأرض الإيمان، وليس الأصل في الأرض الكفر والشرك بالله، وهذا معنى مهم جداً يعطيك ثقة في نفسك وأنت تتعامل مع الغرب أننا الأصل، والإسلام هو الأصل، والصلة بالله تعالى هي الأصل... نحن نثق في أنفسنا ونثق في منهجنا الذي هو الإسلام.

### شؤم المعصية:

تجري أحداث هذه القصة في منطقة جنوب الجزيرة العربية بين اليمن وعمان والسعودية، المنطقة التي تسمى الآن بالربع الخالي... ففي منطقة الربع الخالي هذه دارت أحداث القصة... والربع الخالي هذا له اسم ثان في القرآن سماه الله تعالى به، وهو: الأحقاف..

**الأحقاف:** هي الرمال المتحركة الضخمة الناعمة جداً التي تبتلع من يدخل فيها مثلما تبتلع مياه المحيط.. ولذلك فهذه المنطقة قاحلة غير مسكونة..

لكن نلاحظ أن هذه المنطقة «الأحقاف» أيام قوم عاد كانت منطقة خصبة جداً، وممتلئة بالأنهار... والمعنى: أن الجزيرة العربية كانت خضراء، كانت مزارع.. فما هذه الصحراء والجذب التي هي عليه الآن؟ السبب: أن الله تعالى أهلك قوم عاد وترك الأحقاف بهذا الشكل لتكون آية على ما حدث لهم.. سيدنا نوح عليه السلام أين بعث؟ لا نعلم... سيدنا آدم عليه السلام أين بعث؟ لا نعلم.. قال تعالى في كتابه العزيز محمداً هذه المنطقة: ﴿وَأَذَكَّرَ أَلْحَا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: 21]، لتذكر دائماً كيف تحولت المنطقة الخضراء بسبب معاصي قومها إلى صحراء جرداء... صحراء مشؤومة... لدرجة أن الله تبارك وتعالى جعل اسم سورة من سور القرآن «الأحقاف» ليقول لك: أتذكر الأحقاف هذه وكيف كانت منطقة خصبة مثل وادي النيل..

### ولم سميت عاد؟

القبيلة الأولى التي عاشت في منطقة الأحقاف تسمى: عاد. وهذه القبيلة التي بعث فيها سيدنا هود عليه السلام. ولم سميت قبيلة عاد باسم عاد؟ عاد جاءت من العود، يقال: عادوا بعد أن غرق الناس في الطوفان. عاد الجنس البشري للوجود ثانية، فكانت أكبر قبيلة بعد الطوفان هي قبيلة عاد، فسميت عاداً من العودة. عاد هذه التي نسيت أنها عادت بفضل الله سيحدث لها عقاب من الله تعالى...

## العرب من الأنبياء:

سيدنا هود عليه السلام هو أول نبي عربي أرسل إلى قبيلة عاد، فكلمة عربي ظهرت بعد الطوفان، يقول سيدنا أبو ذر رضي الله عنه: ذكر لي النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء والمرسلين، ثم قال لي: «منهم أربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر»<sup>(1)</sup> بين سيدنا هود وسيدنا نوح أربعة أجيال. وسيدنا نوح عليه السلام - كما نعلم - جده السادس إدريس، وإدريس جده الثالث شيث، وشيث هو ابن آدم.

إذن نلاحظ أن الأنبياء كلهم عائلة واحدة، من يتمنى أن تكون عائلته كلها عائلة متدينة أجداداً وأحفاداً عليه أن يربي أولاده وأحفاده لينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: 34].

يا شباب من أراد منكم الزواج عليه بذات الدين لتكوّن عائلة موصولة كلها بالله تعالى، وأنت يا أختي، لا تتزوجي ممن لا يصلي، أو من قال لك سوف أصلي، ليصل أولاً وبعدها يتقدم. فمن لا يعبد ربه ولو بسجدة هل سيكون أميناً مع ربه في المحافظة عليك؟ وكيف يأمن والدك أن يزوجك بشاب لا يصلي؟ أيعقل أن ننظر للمال ونقول: إنه شاب ابن حلال وأخلاقه جيدة ولكن لا يصلي؟ فالصلاة أكبر دعامة من دعائم الإسلام.

خصوصية هود عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وسلم:

كلما تذكرت أسماء الأنبياء عند نبينا كان يقول: «رحمة الله علينا وعلى هود وعلى صالح»<sup>(2)</sup>، إنه يختص وهو يدعو سيدنا هود وسيدنا صالحاً عليهما السلام. إذن سيدنا هود عليه السلام غالٍ جداً على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فلا بد كذلك أن يكون غالباً علينا نحن المسلمين...

## الشیطان وغواية البشر:

نجى الله المؤمنين في السفينة، ووقفت السفينة على جبل الجودي، وكل من نزل منها كان يعبد الله تعالى. طبعاً رأوا العجب في السفينة، وكيف أهلك الله تعالى الناس بالطوفان في وسط الصحراء ونجاهم، فالجيل الذي عاش بعد الطوفان كان جيلاً عابداً وطائعاً لله، وجاء الجيل الذي بعده مؤمناً أيضاً، والشیطان لا يتحرك؛ لأنه لو دخل الآن لخسر؛ لأن إيمان هؤلاء الناس قوي جداً، وجاء الجيل الثالث والتوصية بدأت تقل، وبدأ الشيطان يكرر نفس ما حدث في الفترة ما بين سيدنا إدريس وما بين سيدنا نوح عليهما السلام. بدأ يُدخل عبادة

(1) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (2/423)، و(2/424)، وذكره أيضاً في «البداية والنهاية» (1/185).

(2) أخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 5/122).

الأصنام بنفس الطريقة: يحببهم في الصالحين وبعدها يقيم لهم مقاماً، وبعدها يطوفون حوله وبعدها يعبدونه. وبدأ الناس يضلون وعبدت الأصنام مرة أخرى، وكان أول من عبد الأصنام قبيلة عاد.

### هؤلاء هم اليهود:

رجعت البشرية للكفر ثانية وليس بينهم وبين الطوفان إلا مئة سنة فقط، وعادوا يكررون نفس الخطأ. فلا تستغربوا؛ لأن اليهود فعلوا أكثر من هذا. بنو إسرائيل فعلوا ما لم يفعله أحد وما لا يمكن أن يصدقه أحد، انفلق البحر لسيدنا موسى ﷺ فكان كل فزق كالطود، المياه وقفت مثل الحائط يميناً وشمالاً وفتح لهم طريق في الأرض يمرون عليه. إذا حدثت معك هذه الآية ماذا تفعل؟ لا شك أنك ستسجد لله شكراً. أليس كذلك؟ عبر بنو إسرائيل البحر حتى إذا أراد فرعون ومن معه أن يعبروا رجع الماء إلى ما كان عليه، ووصلوا إلى البر الثاني من البحر وأقدامهم مبتلة، فوجدوا أناساً يعبدون العجل: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾! [الأعراف: 138]، ولكن من بعد محمد ﷺ انتهت عبادة الأصنام في الأرض..

### المحطات الشيطانية السبعة:

كيف ضحك الشيطان على الناس وفعل نفس الفعل معهم بتكرار عبادة الأصنام؟ ذلك لأن الشيطان لا ييأس أبداً. العلماء حين يتكلمون عن الشيطان يقولون: ان الشيطان ملصق بطيء اليأس، ليس لحوحاً، بل ملصق وبطيء اليأس، لا ييأس أبداً، انظر للكراهية! والشيطان يغويك ضمن سبع محطات:

#### المحطة الأولى:

أول محطة يريد أن يدخلك قعر جهنم، فيقول لك: اكفر؛ لأنه يريد أن ينهي صراعه معك من البداية فتنجو من هذه العقبة بقولك: لا إله إلا الله، محمد رسول الله...

#### المحطة الثانية:

فينتقل إلى المحطة الثانية أو العقبة الثانية بأن يقول لك: أشرك بالله، بأن يضع أشياء في مقام الله، من الممكن أن تكون الموضوعة والثياب أعز عليك من أمر الله بالصلاة، وكان تقول: كرة القدم هي حياتي، أو أن تقول مثلاً: النساء هن حياتي كلها، يمكن أن أطيع إلا في موضوع النساء، أنا أحب المال ولا أقاومه، فيقول لك النبي ﷺ: «تعس عبد

الدرهم»<sup>(1)</sup>، ولم سماه عبد الدرهم؟ لأنه وضع الدرهم في مقام الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: 165]، ربما فتاة لها علاقة محرمة مع شاب لكن لا تقدر أن تتركه! ﴿أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾، مسلم وموحد لكن وضع شيئاً بجنب الله، وكيف النجاة من هذا الشرك؟ الالتزام بأوامر الله ﷻ، وبسنة النبي ﷺ.

### المحطة الثالثة:

فينتقل معك إلى العقبة الثالثة وهي عمل الكبائر: ازن، اشرب الخمر، يقول لك: أنت موحد ويكفي أنك مسلم، وهذه الكبائر - يا أخي - ربك غفور رحيم عنها، إذا وقعت في الكبائر - والعياذ بالله - فكيف النجاة منها؟ بالاعتصام بالله تبارك وتعالى وبالتوبة.

### المحطة الرابعة:

إذا فشل معك في إتيان الكبائر ينقلك إلى العقبة الرابعة، يقول لك: اعمل الصغائر، ويكثر لك الصغائر ويقللها في عينك جداً، أثناء سيرك مثلاً في الشارع أي امرأة تراها تنظر إليها، ثم يقول لك: أنت أحسن من فلان وفلان، أنت لا تفعل الكبائر مثلهم، وكلنا معرض لعمل الصغائر، والنجاة منها تكون بالاستغفار والتوبة.

### المحطة الخامسة:

وهي أنك إذا لم تفعل المعاصي فعلى الأقل لا تفعل الطاعات، فيضيع وقتك في اللاشيء، تجد شاباً لا يفعل الذنوب ولا المعاصي، ولكنه غافل عن طاعة الله، أو يضيع وقتك بأن تمسك مجلة من المجلات الفنية مثلاً وتقلبها من الجريدة للجريدة، وترتك المجلة فتمسك بالكلمات المتقاطعة وتقضي فيها وقتاً طويلاً، ولو عرفت أن طاعة الله أولى، ما كنت تضيع وقتك وتقضيه على المقهى، أو تشاهد مباريات كأس العالم مباراة بعد مباراة، ست مباريات في اليوم، وهذا ليس حراماً ولكن لا تنس ربك حتى في اللهو واللعب.

### المحطة السادسة:

ثم إذا فشل معك في تضييع وقتك فيما لا فائدة منه، ينقلك إلى المحطة السادسة: فيشغلك عن الأمور المهمة بأمر أقل أهمية، يعني يقول لك: تريد التدين القوي، عليك بإماطة الأذى عن الطريق وهي سنة، نعم، ويكون شغلك الشاغل وأنت تمشي في إزالة الورق من الشارع، لو رأيت أذى في الشارع عليك أن تزيله لكن ليست هذه هي قضيتك!

(1) أخرجه ابن ماجه في (الحديث: 4136).

ومن حيل الشيطان مثلاً: يجعل امرأتين تتشاجران على أن تصلي إحداهما في هذا المكان أم هذا المكان فيضيع عليهما ما هو أهم وهو التركيز في طاعة الله.. النبي ﷺ يقول: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها - إذن هناك أعلى وهناك أدنى - إمطة الأذى عن الطريق»<sup>(1)</sup>.

فيشغلك بقضايا فرعية من الدين ويجعلك تسرح مع هذه القضية، مثل نملة سيدنا سليمان ﷺ: ذكر أم أنثى؟ وتحضر الكتب وتبحث، هذا دين وأنت متدين لكن شغلك بالأقل أهمية عن الأكثر أهمية، النبي ﷺ يقول: «إن الله يحب معالي الأمور ولا يحب سفافها»<sup>(2)</sup>.

### المحطة السابعة:

إذا فشل في كل ما سبق يجعل الناس تسخر منك، لا بد أن يؤذيك، مثلاً: كارتداؤك للحجاب، وكيف يجعل زميلاتك يسخرن منك ويستهنئن بك، والنجاة منها يكون بالإصرار على طاعة الله.

وعلى كل منا أن يحدد المحطة التي أقامه الشيطان بها، ليعلم أين هو من طاعة الله تبارك وتعالى.

### وصف قبيلة عاد:

جاء ذكر سيدنا هود ﷺ في القرآن سبع مرات، وجاءت قصة عاد في القرآن في ثمانية عشرة سورة، والكتاب الوحيد الذي تكلم عن قصة عاد هو القرآن، كل الكتب السماوية الأخرى لم تتكلم عنها، لن تجد ذكراً في التوراة ولا في الإنجيل عن سيدنا هود وقوم عاد، قبيلة عاد لم تكن قبيلة عادية، كانت قبيلة شديدة القوة والبطش، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر: 6 - 8].

ما معنى: لم يخلق مثلها في البلاد؟

يعني: لم تات حضارة على وجه الأرض أقوى من عاد، ولا الفراعنة بنصر القرآن، ولا حتى قوة أمريكا اليوم.

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 152)

(2) ذكره الطبراني في «المعجم الكبير» (الحديث: 142/3).

وما معنى: إرم ذات العماد؟

العماد من الأعمدة، والعماد هي المبالغة في الأعمدة الضخمة جداً، فكانت إرم ذات العماد، يعني: الأبنية ذات الأعمدة الضخمة جداً جداً، كأنه يتكلم على ناطحات سحاب، مدينة مقامة على أعمدة غاية في الضخامة، ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [7] أَلَيْسَ لِمَنْ يَخْلُقُ مِثْلَهَا فِي أَلْبَدِ ﴿8﴾، ليس هذا فقط؛ بل إن قبيلة عاد بالإضافة لحضارتهم الفولاذية هم أنفسهم كان شكلهم وتكوينهم غير طبيعي، سيدنا هود عليه السلام يقول لهم: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ [الأعراف: 69]، وزادكم في الخلق بسطة، أي: ضخامة الأجسام بشكل غير عادي، المفسرون يقولون: إن أقصرهم طولاً كان ستين ذراعاً، وأطولهم مئة ذراع أي: في طول النخل تقريباً، لدرجة أن أحدهم يضع يده في الجبل فيتتزع الصخرة ينحتها من الجبل، هل وصلت حضارة بهذه القوة؟

لا بد أن نعرف أنه كان هناك من هر أتوى منّا من آلاف السنين، وإنا لآلئ الغريب قد اغترت بقوته، فعاد لآلئنا أتوى منهم، فعلى الغريب أن يعتبر بنهاية عاد لما أصرروا على البعد عن الله..

يقول تبارك وتعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً نَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: 128]، الريع يعني: الجبال العالية، كانوا يبنون بيوتهم على مرتفعات الجبال، تخيل أسرتهم كيف كان شكلها؟ تخيل قصورهم، آية في الفن والإبداع، ليست قصوراً إنما قلاع غير طبيعية بضخامة غير طبيعية.

أما أرضهم فهي أرض خصبة جداً، ومن أحاديث نبينا ﷺ نستدل كيف كانوا يعيشون: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً»<sup>(1)</sup>.

إذن كانت أرض العرب أنهاراً، يا جمال الوضع الذي كانوا يعيشون فيه، لكن للأسف هذه الحضارة التي فاقت حضارة الفراعنة، وحضارة الغرب، هذه الحضارة التي لم يخلق مثلها في البلاد، كفر أهلها وعتوا عن أمر الله، فأرسل الله لهم سيدنا هوداً عليه السلام.

### اللين سبيل الدعاة:

وماذا قال لهم سيدنا هود؟ يقول الله تبارك وتعالى في سورة «الأعراف»: ﴿وَأَلِيَّ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف: 65]، أخاهم، هل كان هود أخاهم أم لا؟ ما معنى أخاهم؟ أخاهم

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 2336).

جاءت؛ لأن سيدنا هود كان كثير الحنان عليهم وشديد الحب لهم، وهو يدعوهم فقال الله تعالى عنه ﴿أَخَاهُمْ﴾، إذن علاقتنا بالناس يجب أن تكون مثل علاقة هود ﷺ مع قومه، إياك أن تدعو الناس وأنت في برج عالٍ، إياك أن تدعو الناس وأنت تقيم عليهم الحجة وتقول لهم: أنتم بعيدون عن الله وأنا الصالح، أنتم ضائعون ونجاتكم في يدي، يا ضائعين يا فسقة، إياك أن تفعل هذا الأمر، إياك أن تعيش هذا الإحساس، وقتها ستكون أنت الذي لا يفهم أي شيء من القرآن، افهموا القرآن ﴿وَالَّذِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ هو أخاهم! إذن سيعاملهم برفق، بلا عنف، ولا إرهاب ولا غلظة، سيكون هناك ود، سيقول لهم: أنا أحبكم، أنا خائف عليكم، إذن من يجد في أبيه أو أمه شيئاً لا يعجبه فلا يذهب إليهما ويقول: أنتما تفعلان المعصية الفلانية، أو عندما يجدهما يشاهدان التلفاز فيذهب ليغلقه، لا، إياك أن تفعل هذا، إياك أن يكون هذا هو فهمك للإسلام إنما عليك بالرفق واللين.

### ولماذا سمي هوداً؟

قال تعالى: ﴿وَالَّذِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ أخاهم من؟ هوداً، ولماذا سمي هوداً؟ هود من الهُود، واليهود أي: التآني معناها: أنه كان يدعو قومه بتآني وهدوء ورحمة، اسمه يعرفك كيف كان يدعو، فتذكر أنت كلما أردت أن تؤذي أحداً أو أن تشتد عليه تذكر أن سيدنا هود معنى اسمه: الرحمة، تفكر أيها المسلم، حتى اختيار أسماء الأنبياء فيه حكمة، انظروا لاسم سيدنا محمد، اسمه أحمد ومحمد؛ لأن هذا هو دوره، وسيدنا هود رحيم ودود فاسمه: هود.

### حلاوة العبودية:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ في سورة «الأعراف» نجد أن كل نبي يبدأ الحوار مع قومه بقول: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾، أحلى شيء في الدنيا يوم أن تشعر أنك عبد لله، وأحلى ساعة في حياة الإنسان عندما يشعر أنه بين يدي الله ﷻ عبد، نحن أحياناً نقرأ القرآن ونمر على: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾، ونكمل، قف عند ﴿أَعْبُدُوا﴾، أنا عبدك، كم مرة نحس في اليوم أننا عباده؟

هل تعرف ما معنى عبدك؟

يعني: أنا ملكك، أنا ليس لي غيرك، أنت تأمرني وأنا أنفذ، العبودية لها حلاوة، العبودية لله يعني: كمال الحب لله مع كمال الخضوع له، تحبه جداً وأنت خاضع له وكلما خضعت له تحبه أكثر، مسكين من يظل أسبوعاً لا يشعر أنه عبداً لله، مسكين الذي لا تدمع

عينه لإحساسه بحلاوة العبودية، أخشى أن تكون هذه المعاني قد ذهبت من قلوب المسلمين، أنا خائف أن نكون محافظين على الصلاة لكن لا يوجد بداخلنا طاقة العبودية، الشاب الصغير الذي ما زال في بداية حياته إن لم يحس بالعبودية في هذه المرحلة؟ هل سيحسها عندما يكبر؟ نحن محتاجون أن نضغط على قلوبنا وندعو: يا رب، اجعلني أتذوق حلاوة العبودية، يقول النبي ﷺ: «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك...»<sup>(1)</sup>، نريد أن نحس أننا عباد له، وليس لنا غيره. «قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» [الأعراف: 65]، ما لكم من إله غيره، اقرؤوا القرآن وتذوقوه: «مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ»، هل لك غيره؟ أحد الصالحين يناجي ربه ويقول: «يا رب، ماذا فقدت من وجدك؟ وماذا وجد من فقدك؟ من فقدك فقد فقدت كل شيء، ومن وجدك فقدت كل شيء»، من يجد الله في قلبه فقد وجد كل شيء حتى وإن كان لا يجد ما يأكله، حتى وإن كان فقيراً وعنده مشاكل الدنيا والآخرة، فالمرأة التي تعاني من مشاكل مع زوجها وأولادها، لكنها وجدت الله تبارك وتعالى في قلبها هي الراحبة، ونحن الذين نضحك ونأكل ولدينا المال نحن الذين خسرنا، نريد أن نحس أنه ما لنا من إله غيره، ليس لي غيرك ولا يوجد في قلبي أكبر منك، أوامرك مطاعة؛ لأنه ليس لي إله غيرك يا رب العالمين.

### أفلا تتقون؟

قال تعالى: «مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ»، لماذا قال لهم أفلا تتقون؟ ماذا يتقون؟ يتقون ما حدث لقوم نوح من الطوفان، أما أنا اليوم فأقول لكم: أفلا تتقون أن فلاناً مات وهو يشرب مخدرات؟ أفلا تتقون أن فلانة صاحبة فلان التي تزوجته عرفياً تندم وتعض على يديها الآن؟ أفلا تتقون أن فلاناً الذي صاحب أصحاب السوء نهايته كانت حادثة في سيارة في الطريق الصحراوي وهم يشربون الخمر؟ سيدنا هود عليه السلام يقول لهم: أفلا تتقون؟ ويقصد ما حدث لسيدنا نوح، وأنا أقول: أفلا تتقون أن تروا كل يوم مصيبة تحدث للعاصي؟ أفلا تتقون يا شبابنا ويا فتياتنا؟ الذي يشرب الخمر أفلا تتقي أن تموت وأنت تفعل الحرام؟ أفلا تتقون؟

### بم ترد؟

رد قوم هود وقالوا: «قَالَ أَمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي سَفَاهَةٍ» [الأعراف: 66]، أنت سفیه يا هود، الهادى سفیه! «إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ» فقال لهم هود عليه السلام بكل أدب وحنان: «قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ»

(1) أخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 391/1).

وَلِكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ أَلَيْفُكُمْ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ [الأعراف: 67، 68]، الآية التي تليها ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ﴾ [الأعراف: 69]، هل أنتم مستغربون أنني أدعوكم إلى الله؟ مثلما يقول الأصحاب لصديقهم الذي ينصحهم: يا رجل صرت شيخاً؟ نسيت ماذا كنت البارحة؟ لقد كنت ضائعاً وتفعل المعاصي كذا وكذا، فقوم هود قالوا له بهذا المعنى، فقال لهم: هل أنتم متعجبون ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذَكُرُوا﴾ إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴿هُوَ يَذَكِّرُهُمْ بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً﴾ هل نسيت نعم الله عليكم؟ هذه القوة التي عندكم أليست من الله؟ أنت أيتها الأخت الجميلة أليس هذا الجمال من عند الله؟ المال الذي معنا أليس هو من عند الله؟ ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً﴾ يذکرهم ويقول لهم: لا تنسوا المنعم.

لا تنسى أنك تستطيع أن تتحرك وهناك من لا يتحرك، لا تنسى أنك ترى وغيرك أعمى، لا تنسى أنك تفهم وغيرك مهتور بضمك عليه الناس!

﴿فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ﴾ آلاء بمعنى: نعم، وفي سورة «الرحمن» كلها ﴿فِي آي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿١٣﴾، لما نزلت هذه السورة؟ كان الصحابة يسمعون من النبي ﷺ وهم لا يتكلمون، فقال الرسول ﷺ: «ما لكم لا تتكلمون؟» قالوا: ماذا نقول يا رسول الله؟ قال: «تكلمت الجن لما سمعت الآية ولم تتكلموا»، فقالوا: وماذا قالت الجن يا رسول الله؟ قال: «لما سمعت الجن ﴿فِي آي ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿١٣﴾ قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»<sup>(1)</sup> الجن الذين تخافون منهم أكثر شكراً على النعمة منا! ﴿فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ﴾، إن أحد مشاكلنا أننا لم نعد نذكر نعم الله، فأنزل الله لنا سورة في القرآن - سورة كاملة - تتكلم على خطورة عدم الشكر على نعمة الله، أن تألف نعمة وتقول: أنا اعتدت أن أرتدي ملابس جميلة وبذكائي أنا أختار الملابس والسيارة . . . إياكم أن تألفوا النعمة تذكروا دائماً المنعم، إلف النعمة مشكلة، توجد سورة في القرآن تتكلم على خطورة إلف النعمة وهي سورة «قريش» ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: 1]، نحن نفرؤها كثيراً والمعنى: إلى متى يا قريش تألفين نعمتي؟ ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: 1، 2]، ماذا ألفوا يا رب؟ ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ التجارة، ألفوا أن هذه التجارة ونجاحهم بها كان بذكائهم وخبرتهم، هذا من نعمتي عليكم، والحل أن تذكروا النعمة ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ﴿٣﴾ أَلَّذِي أَطَعْتَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: 3، 4].

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 3291).

## كيف نشكر الله ﷻ؟

التعود على النعم مشكلة، سيدنا داود عليه السلام يناجي الله ﷻ ويقول: يا رب، كيف أشكرك وشكري لك نعمة تستحق الشكر؟ فقال له الله تبارك وتعالى: يا داود، إذا عرفت هذا فقد شكرتني، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7]، فلا زيادة إلا بالشكر، سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات مرة قابل رجلاً في الطريق فقال له عمر: كيف أصبحت؟ فقال: بخير، فقال له عمر: كيف أصبحت؟ قال: بخير، فقال له عمر: أقول لك كيف أصبحت؟ فقال: بخير والحمد لله، فقال عمر: هذا ما أردت. إنه يعلم الناس بشكل عملي حمد المولى سبحانه، ونصيحتي أن تقولوا كل يوم وأنتم ذاهبون لعملكم، ولمدة ثلاث دقائق: الحمد لله، سهلة جداً، وأنت تقولها تذكر نعمة من نعم الله عليك ﴿لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ والعكس ﴿وَلَيْنْ كَفَرْتُمْ﴾ جعل الله سبحانه وتعالى عكس الشكر الكفر، وتجد دائماً الشكر يأتي دائماً عكسه في القرآن الكفر ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3]، سيدنا سليمان عليه السلام قال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: 40].

## احذروا نحن نقلد قوم عاد!

قال الله تعالى في سورة «الشعراء»: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْفِئُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُرْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَأَنْفُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا لِلرَّسُولِ ﴿١٢٦﴾﴾ [الشعراء: 124 - 126]، نفس الأمر ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي الْعَلِيمِ ﴿١٢٧﴾ أَتَنْبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَأَيَّةٌ تَقْبَهُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الشعراء: 127]، وهنا وقفة، ريع يعني: قصور، ناطحات سحاب على قمم الجبال لكن ليست للسكن بل للعبث، يعني: أنتم بنيتم هذه المباني للمبالغة والتفاخر والتعالي والعبث بالأموال، ونحن الآن نقلد قوم عاد، مثل: الأفراح التي ينفق عليها الأموال الطائلة من أجل اسم العائلة، ولأن ابنا لا بد أن يقام له فرح مثل العريس الفلاني والعروسة الفلانية، والأهل يدفعون والناس في النهاية تقول: العروسة حاجبها اليمين مقطوع، والأكل سييء، والأهم أننا ابتدأنا حياتنا بمعصية، لا أقول: إن الفرع حرام، لكن ما يتم في الفرع من إنفاق مبالغ طائلة ومن معاص هو الحرام، لكن لو تم الفرع بشكل هادئ ومحترم لا توجد فيه معاص، طبعاً يكون حلالاً، لنتبه أن عاقبة قوم عاد خطيرة وهذه الآية إحدى أسباب هلاكهم بسبب التفاخر بالمعصية ﴿أَتَنْبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَأَيَّةٌ تَقْبَهُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الشعراء: 128]، إياك أن تقلد عاداً في هذا الموضوع.

## لا خلود في الدنيا:

قال تعالى: ﴿وَتَتَخَذُونَ مِصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: 129]، هم عرفوا المصانع، ويدل ذلك على سبقهم وتقدمهم الشديدين، وماذا يعملون بالمصانع؟ بينون بها البيوت التي على رؤوس الجبال، لكن كانوا بينونها لعلهم يخلدون، وهذه هي المشكلة الثانية.

ما معنى لعلكم تخلدون؟

يريدون أن يعيشوا في الدنيا إلى الأبد، يظنون أن القصور والأموال ستخلدهم، ومنا من يقلد عاداً في هذه النقطة، هناك فتيات من شدة اهتمامها بجمالها والموضة نسيت أن هناك آخرة، تظن نفسها ستخلد، تظن أنها ستظل جميلة دائماً ولن تكبر، وهناك من يظن بماله أنه سيخلد.

## إياك والظلم:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: 130] يوم أن غضبوا تظلموا، عندما تظلمون لا تظلمون ظلماً عادياً بل تتجبرون في الظلم، ويوجد اليوم من يقلد قوم عاد فيها، المرأة التي عندها خادمة وهي تعذبها نفسياً أو بدنياً أليس هذا من بطش الجبارين؟ والزوج الذي يعذب زوجته ويستغل ضعفها بين يديه ألا تنطبق عليه هذه الآية؟

هذه الصفات الثلاثة أحد الأسباب الأساسية في هلاك قوم عاد: العيب، والظلم، والبطش.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: 130]، اتقوا الله وأطيعوا النبي ﷺ، وهذه تتكرر كثيراً في القرآن: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ [الشعراء: 130]، ثم ذكرهم الله بنعمه عليهم: ﴿وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: 133]، أبناءكم نعمة من الله ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: 134]، وهذا يظهر الحب لهم فهي دعوة أساسها الحب وليس أساسها البغض والظلم.

ثم قالوا: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [الشعراء: 136]، نحن سنسير على طريق آبائنا وأجدادنا، كل الأقارب والأصدقاء في الأفراح يحضرون راقصة وأنا سأفعل مثلهم! ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 137]، جدتي وأمي وخالاتي لسن محجبات، أنا سأفعل مثلهن ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خَلْقُ

الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٧﴾، نحن سنسير على خلق الناس الذين سبقونا وانظر إلى قولهم: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظتُ﴾، هل منا من يفعل ذلك إذا وعظه أحد، يقول له: تعظني أو لا تعظني أنا سأفعل ما أراه، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [الشعراء: 137، 138]، انظروا للكبر!

### شيبتني هود وأخواتها

قال النبي ﷺ: «شيبتني هود وأخواتها»<sup>(1)</sup>، هذه السورة قوية جداً والذي يحفظها يستمتع بها استمتاعاً شديداً، في الآية: 50 يقول تعالى: ﴿وَالِإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوْرُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾، بمجرد أن تسمع كلمة عاد إذن وراءها كلمة أخاهم لماذا؟ حتى يُعمق بداخلنا هذا المعنى، إياك أن تدعو الناس بعنف أو تكلم الناس بطريقة التضييق عليهم، كونوا رحماء بالناس وهذا الكلام للنساء خصوصاً ﴿وَالِإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوْرُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ يَنْفَوْرُ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ وَيَنْفَوْرُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿هود: 50 - 52﴾، هل تذكرون الاستغفار في سورة «نوح»؟ كان نفس هذه الكلمات ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُرْزِقُكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوتِكُمْ وَلَا تُنْوَلُوا تُجْرِمِينَ﴾، عليكم بالاستغفار يا إخوتي، وفي قصة سيدنا نوح ﷺ ذكرت أن من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب، وهنا تقول الآيات: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُرْزِقُكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوتِكُمْ﴾ [هود: 52]، الفرق بيننا وبين جيل الصحابة أن الصحابة كانوا يتلقون القرآن للتنفيذ، أما نحن فننتلقى القرآن لنشفي به من الأمراض ومن الجن، لا يجوز أن تكون علاقتنا بالقرآن بهذا الشكل.

### أين معجزة سيدنا هود؟

قال تعالى: ﴿وَلَا تُنْوَلُوا تُجْرِمِينَ﴾ [هود: 52]، ثم يقول تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [هود: 53]، هنا ملحوظة جميلة وهي أن كل نبي من الأنبياء يبعث الله معه معجزة، سيدنا موسى ﷺ العصا، سيدنا إبراهيم ﷺ النجاة من النار، سيدنا عيسى ﷺ إحياء الموتى، سيدنا صالح ﷺ الناقة، أين معجزة سيدنا هود؟ سنجد معجزته موجودة في الآيات: ﴿قَالُوا يَا هُودُ

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 3297).

مَا جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٦﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّهِمْ ﴿هود: 53، 54﴾، يقولون له: نحن نشعر أن الآلهة أمرضتك بالخبل العقلي؛ لأنك لا تعبدها، لقد جننت، وهذا من فعل الآلهة؛ لأنك كفرت بها ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّهِمْ﴾، المعجزة هي: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٧﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٨﴾﴾ [هود: 54، 55]، لو أنكم تستطيعون أن تقتلوني تعالوا اقتلوني كلكم، اقتلوني الآن حالاً ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾، لا تنتظروا لغد، أنا منتظر أن تقتلوني الآن، لكنكم لن تستطيعوا وهذه هي معجزة سيدنا هود، أنه تحداهم بمفرده، أنتم كلكم بقوتكم الشامخة لن تستطيعوا إهلاكه ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ [هود: 56]، لا إله إلا الله، هل استطاعوا أن يقتلوه؟ لا، إذن هو نبي أليس كذلك؟ وهذه هي معجزته.

### اين التوكل في حياتنا؟

قبل أن يقول: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾، كان يمكن أن يقول البعض: إن هذه مبالغة في إظهار القوة في غير موضعها؟ لكن الآن وبعد أن ختمها بقوله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾، هذه معجزته، والسؤال هنا: هل نحن متوكلون على الله؟ يقول العلماء: انه من أكل فلساً من هرام فليس بالمتوكل؛ لأنه لا يصدق أنه رزقه آت له، ومن بكى على أولادها؛ لأنها تموت ولا تعرف لمن تتركهم من بعدها ليست بمتوكله؛ لأنها نسبت أن لهم الله، ومن خاف من الناس أن يؤذوه وهو على الصق ولم يستطع أن ينام من سدة الضرب فليس بمتوكل.

تعلموا من سيدنا هود هذه النقطة، هذه الآية مؤثرة جداً: ﴿فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٨﴾﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّهِمْ ﴿هود: 53، 54﴾.

أتعلم ما معنى التوكل على الله؟

أن ترضى بالله وكيلاً وتقول له: يا رب، أنا وكلتك أن تتصرف في أموري مثلما أردت، كأنك ذهبت للشهر العقاري وفعلت لأحد الناس توكيلاً فتقر بأنك وكلت فلاناً، وأنت توكله هل تشك فيه؟ طبعاً لا، وإلا ما كنت وكلته، فعليك أن تتوكل على الله، و«الوكيل» من أسماء الله الحسنى، هل ينفع أن تقول له: يا وكيل، وكلتك، ثم يضيعك؟ لا أبداً، المعنى كبير، لو عندك مشاكل الدنيا وقلت: يا رب، عندي مشكلة واحدة وكلتك يا وكيل، واعقد عقد الوكالة مع الله ﷻ، وإياك أن توكله وعندك شك به! تعلم من سيدنا

هود.. تعلم أن تتوكل وتكون قوي الصلة بالله، ولن يضعك حتى لو ابتلاك بمصيبة ما، سيريد الله بها لك الخير وهي لمصلحتك، اترك الوكيل يتصرف ولا تشك به. جاء رجل أعرابي - وكان كافراً - إلى النبي ﷺ وهو نائم تحت شجرة، وقد علق النبي ﷺ سيفه على الشجرة، فجاء الأعرابي وانتزع السيف ووضعه على رقبة النبي ﷺ، وقال: من يمنعك مني؟ فقال النبي ﷺ: «الله ﷻ»، فسقط السيف من يد الأعرابي فأخذ النبي ﷺ السيف ووضعه على رقبة الأعرابي وقال له: «من يمنعك مني؟» فقال: يا محمد كن خير آخذ<sup>(1)</sup>، فأطلق النبي سراحه.

### بل يُطلق:

سُجن رجل في سجون المعتصم، والمعتصم كان مغتاضاً منه جداً، لكن الرجل كان شديد التوكل على الله ﷻ، وكان عابداً لله، ولسان حاله يقول: أنا معك يا رب، الوكيل لا يضيع، تذكر المعتصم الرجل الذي في السجن فنادى وزيره وقال: أيها الوزير، فلان الذي في السجن يصلب، وكتب له هذا في ورقة، فأطلق وزير السجن سراح ذلك الرجل، فغضب المعتصم وقال له: ألم أمرك أن تصلبه؟ فقال الوزير: يا أمير المؤمنين، لقد كتبت يطلق ولم تكتب يصلب، فقال: أرينيها، فرأها فوجد نفسه كتب يطلق، قال: كتبتها خطأ، فكتب ثانية ولكنه كتب يطلق أيضاً، وحدث ما حدث في المرة الأولى، فكتبها ثالثة ولكنه كتب: والله ليطلقن، فقال المعتصم: نعم يطلق، فمن أمر الله بإطلاقه فلا يستطيع المعتصم أن يصلبه.

### ناصيتك بيد من؟

انظر لتوكل سيدنا هود عليه السلام وهو يقول: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ وَآشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾، والناصية مقدمة الرأس وهي أشرف جزء في الإنسان، فسيدنا هود عليه السلام يقول لهم: أنا لا أخاف منكم؛ لأن ناصيتي بيد الله ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾، إن مالك الملك والقادر والمهيمن والجبار هو الله تبارك وتعالى، كل الدواب في الأرض ناصيتها بيد الله، فأين الله في قلوبنا وأين العقيدة، وأين الإيمان وأين التوكل؟ ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، أفعال ربي كلها مستقيمة كلها حكمة ليس فيها أي خطأ، أفعال ربي على صراط مستقيم.

(1) أخرجه الإمام أحمد في (الحدِيث: 364/3).

## سبب الهلاك الرئيسي

ولكن متى هلكوا؟ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، انظر لهذا الرد الإلهي ﴿أَوْلَتْ بَرَوًا أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: 15]، انظر لقوة المعنى وشدة الرد، هناك شباب مغرور بقوته وبشبابه وبعضلاته، حذار أن يقول الإنسان لنفسه: من أشد مني قوة؟ إياك أن تنظر لمالك وتقول: من أشد مني قوة؟ لنتبه أن هذه الكلمة هي السبب المباشر في إهلاك عاد، قالها الفراعنة وقالها الرومان، وقالها الفرس فأين ذهبوا؟ قالتها بريطانيا العظمى، يوم أن قالت: بريطانيا التي لا يغرب عنها الشمس أين هي الآن؟ قالها النازيون يوم أن قالوا: ألمانيا فوق الجميع، أين هم الآن؟ واليوم أمم كثيرة في العالم متجبرة وتقول: من أشد منا قوة؟ وإن مصيرهم سيكون كمصير عاد، ﴿أَوْلَتْ بَرَوًا أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، لا إله إلا الله... القرآن جميل حين نعيش معه!

## وبدا الإهلاك:

وبدا الإهلاك وكان شديداً رهيباً، وأنا أريد ونحن نقرأ أو نسمع آيات الإهلاك لقوم عاد ألا نظن أننا لا شأن لنا بهذا، فالله تعالى يقول: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: 83]، وقد تم الإهلاك على مرحلتين: المرحلة الأولى وكانت مفاجأة، يقول الله تبارك وتعالى يصف هذه الصيحة: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ [المؤمنون: 41]، كانوا يستحقونها بالحق ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، فجأة سمعوا صوت صيحة شديدة فجفت الأنهار وتوقف المطر وتهدمت البيوت بصيحة، انظر لمدى قوة الله تعالى: ﴿أَوْلَتْ بَرَوًا أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، صيحة صوت أوقفت كل الحياة وأصبحوا مثل الغناء لا قيمة لهم، وذلك بعد العز والقوة التي كانوا عليها، لكن لم يموتوا.

## وجاءت السحابة:

شعروا بالتعب وهم ينظرون إلى السماء وينتظرون أي سحابة ليبدأ النوع الثاني من الإهلاك، وذلك لأنهم يستحقون إهلاكين لشدة إعراضهم وتكذيبهم، وجدوا سحابة سوداء تقترب منهم ففرحوا بها ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرًا﴾ [الأحقاف: 24]، لقد جاء المطر، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾، داخل على الوديان، كانت أودية لم تكن صحراء: ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٢٤]

تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴿[الأحقاف: 24، 25]، ألم يكونوا يقولون: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، أرسل الله لهم جنداً من جنده اسمه الهواء، جند ضعيف جداً من جنود الله قطع رقابهم، فلنحذر من غضب الله، ألا يخاف الإنسان منا أن يموت وهو يزني أو يشرب الخمر؟ آيات الغضب شديدة جداً، لا بد أن نخاف ولا بد أن نقلق ولا بد أن نخاف أن ننام على معصية فيصيبنا ما أصاب عاد ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ ببعيد﴾، ﴿فَأهْلِكُوا بريح صرصر عاتية ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نخيل حَاقِبَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة: 6 - 8]، كانت الريح تأخذ الواحد منهم الذي طوله مائة ذراع وترفعه في الهواء وتقلبه على الأرض مثل النخلة عندما تنخلع من جذورها فينزل على رقبته وتنكسر الرقبة ويبقى جسداً بلا رأس، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقيمَ ﴿٤١﴾ مَا نَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات: 41 - 42].

### ولقد تركناها آية:

فتحولت الأرض الخضراء إلى رميم وهي على ذلك الحال حتى يومنا هذا، ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ [القمر: 15]، صحراء لا يقدر أحد أن يذهب إليها، سبحان الله، ويأتي العلم الحديث والأقمار الصناعية فوق منطقة الربع الخالي لتصوّر المنطقة، ويفاجأ العلم الحديث أن كلام القرآن صحيح ﴿إِمْ دَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾﴾ [الفجر: 7]، العلماء الذين تكلموا في الإعجاز القرآني ذكروه وذكره علماء أمريكيان في مجلات أمريكية وقالوا: عندما صورنا منطقة الربع الخالي وجدنا تحت منطقة الصحراء وتحت الرمال آثار لأعمدة ضخمة جداً تحت الأرض وآثار لمجرى أنهار: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر: 15].

هذا هو التعذيب فما السبب؟ يقول الله تبارك وتعالى في آية أخرى: ﴿كذبت عاد فكيف كان عادٍ ونذر ﴿٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صرصرًا في يوم نحسٍ مُستمر ﴿١٩﴾ نزع الناس ﴿[القمر: 18-20]، تحمله وترفعه في السماء: ﴿كأنهم أعجازٌ نخيلٍ مُنقعرٍ ﴿٢٥﴾ فكيف كان عادٍ ونذر ﴿١١﴾﴾ [القمر: 20، 21].

### حتى لا يكون مصيرنا كمصير عاد:

لا إله إلا الله، فهل نخاف ونحن نعصي الله أن ينزل علينا العذاب، لا بد أن نخاف إذا كان نبيك ﷺ يخاف، كان إذا وجد سحابة مقتربة يتغير لونه ويدخل ويخرج حتى ينزل المطر فيسر النبي ﷺ فتقول له السيدة عائشة ؓ: ما لك يا رسول الله؟ قال: «ومن يؤمني

يا عائشة أن يصيبنا عذاب كعذاب قوم عاد؟<sup>(1)</sup>، أنت يا رسول الله خائف؟ ونحن منا أناس تزني من عشرين سنة، وأناس شربت خمرأ، وفتيات تزوجت عرفياً وحدث ما حدث، أخاف من تكرار مأساة عاد لكن لن تتكرر؛ لأن الله وعد أمة محمد أنهم لن يهلكوا مثل الأمم السابقة حباً لرسول الله ﷺ، يجب أن تخاف من أن ينزل عليك غضب الله وأنت تعصي، إياك أن تنام بالليل وأنت على معصية، تب فربما لا يطلع عليك الصباح، إياك أن تزني فتبعث على هذه الهيئة.

### كيف نجا هود والمؤمنون؟

تحولت بلاد عاد إلى رمال متحركة ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً﴾، ونجا هود ﷺ ومن معه من المؤمنين، يقول الله ﷻ: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ [الأعراف: 72]، كيف نجوا وسط هذه الرياح؟ برحمة من الله ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾، التوكل على الله نجا هوداً ﷺ ومن معه، لنتهي جولة من صراع الحق والباطل، وما زال صراع الحق والباطل مستمراً إلى قيام الساعة، فكن من أهل الحق ولا تكن من أهل الباطل فلن ينجو أحد إلا برحمة الله تبارك وتعالى، يقول أبو الدرداء وهو الصحابي الجليل يذكرنا بقصة عاد: إن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيراً وبنون مشيداً ويأملون بعيداً فأصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً، وأملهم غروراً.

من يشتري تركة عاد بدرهمين؟ هل يرضى إنسان أن يشتري تركة عاد بجنيه؟ لا أحد يرضى أن يشتريها؛ لأنها أصبحت لا تساوي شيئاً.

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 2082)، و(الحديث: 2083).